المقتطف

الجزء التاسع من المجلد الثلاثين

١ سبتمبر (ايلول) سنة ١٩٠٥ — الموافق ٢ رجب سنة ١٣٢٣

اسكار الثاني ملك اسوج

وانفصال نروج

ذكرنا في الجزء السابق والذي قبلهُ طرَفًا من سيرة محمد علي باشا جد العائلة الخديوية الذي ارتقى بسالتهِ وهمتهِ من مصاف الجند الى ان صار والياً على القطر المصري بل كاد يكون ملكاً مستقلاً فيهِ . ونحن ذاكرون الآن سيرة رجل آخر ارتقى جدُّهُ من مصاف الجند الى ان صار قائدًا عظيمًا ثم ملكاً مستقلاً في الوقت الذي نشأ فيهِ محمد علي باشا وهو يوحنا برنادوت الذي صار ملكاً لاسوج

ولد هذا الرجل في جنوبي فرنسا سنة ١٧٦٤ قبلما ولد محمد علي بنحو خمس سنوات وانتظم في الجيش الفرنسوي جنديًا بسيطًا سنة ١٧٨٠ وانضمَّ الى رجال الثورة الفرنسوية وارتقى في المناصب العسكرية الى ان صار قومندان فرقة سنة ١٧٩٤ وما زال يتدرَّج في الارتقاء الى ان صار مرشالاً سنة ١٨٠٤ وهو اعلى منصب في الجندية ولا بدَّ من انهُ بلغ ذلك المنصب بجدهِ وبسالتهِ لان نبوليون لم يكن ينعم بالمناصب العسكرية جزافًا ولم يكن شديد الميل اليهِ بل كان يغار منهُ لكنهُ كان منصفًا فلم يمسك عنهُ منصبًا استحقَّهُ

ولم يكن لملك اسوج وليُّ عهد فاختارهُ مجلس النواب الاسوجي وليًّا لعهدهِ وذلك سنة ١٨١٠ وقبض على ازمة الملك في السنة التالية لان الملك مرض حينئذٍ وهي السنة التي فتك فيها محمد علي بالمماليك واستتبَّ لهُ الملك في القطر المصري . وطلب اليهِ نبوليون ان يعاونهُ بمقاطعة الانكليز تجاريًّا فابى لان ذلك يجحف بمصلحة اسوج المالية ثم اضطرَّ ان ينضمَّ الى خصوم نبوليون ويحاربهُ معهم لكنهُ ابى ان يشن الغارة معهم على فرنسا . ويقال انهُ كان

يطمع في ان يصير عرش فرنسا اليهِ . وتوفي ملك اسوج سنة ١٨١٨ فخلفهُ باسم كارلس الرابع عشر ولقبهُ قومهُ بالملك الصالح الحكيم وهو خير لقب يلقب بهِ الملوك . واستعزَّت مملكة اسوج في عهدهِ فانهُ رقَّاها علمًا وزراعة وصناعة وتجارة وتوفي في ٨ مارس سنة ١٨٤٤ . فولد قبل محمد علي بخمس سنوات وتوفي قبلهُ بخمس سنوات فضلاً عن المشابهات المتقدمة وذلك من غرائب الاتفاق

ولما توفي خلفهُ ابنهُ باسم اسكار الاول وتوفي سنة ١٨٥٩ فخلفهُ بكرهُ باسم كارلس الخامس عشر وتوفي من غير عقب فخلفهُ اخوهُ الملك الحالي سنة ١٨٧٢ باسم اسكار الثاني وهو الابن الثالث من اولاد الملك اسكار الاول ولم يكن يُظَن ان عرش الملك يصل اليهِ لانهُ لما وُلد كان جدهُ لم يزل متربعًا فيهِ فلم يرَبِّ التربية التي تعدهُ للقبض على أزمة الملك بل تُرك الى ميلهِ الطبيعي فاختار البحرية وارتقى فيها رويدًا رويدًا الى ان صار ملازمًا ودرس كل فروعها درسًا مدققًا . واستفاد من الاسفار الكثيرة التي سافرها . وهو شاعر مطبوع فقويت مخيلتهُ بما مرَّ امام عينيهِ من الصور الكثيرة وعاد من الاسفار وعمرهُ عشرون سنة فدخل مدرسة ابسالا الجامعة تلميذًا وامتاز في العلوم الرياضية ولكنهُ لم يترك البحرية فارتقى في مناصبها الى ان صار اميرالاً وهو على ذكاء عقلهِ وقوة عارضتهِ انيس المحاضرة طلق المحيَّا فاحبهُ البحارة كلهم من اعلاهم الى ادناهم وكان حبهُ لهم لا يقلُّ عن حبهم لهُ كما يظهر من القصيدة التي نظمها وموضوعها " ذكرى الاسطول الاسوجي " . وكانت اكادمية العلوم الاسوجيَّة قد عينت جائزة لمن ينظم ابلغ قصيدة فنظم هذه القصيدة وبعث بها اليها من غير امضاء ففضلتها على سائر القصائد التي قدمت لها واعطتها الجائزة وهي لا تعلم من نظمها

ولما تمَّ دروسهُ في المدرسة عاد الى البحر وزار مدنًا كثيرة وتوفي اخوهُ الثاني حينئذٍ ولم يولد لاخيهِ الاكبر ولد فترجح ان ينتقل الملك اليهِ وطلب منهُ ابوهُ ان يفتش عن اميرة يقترن بها فاختار الاميرة صوفيا ناسُّو ونظم فيها القصائد الحسان وهي من فضليات النساء وجواهر الملوك . ومرَّت السنون وهو عاكف على دروسهِ العلميَّة والاديبيَّة والاهتمام بترقية الحربية والبحرية وهي عاكفة على تربية اولادها وتهذيب اخلاقهم

وكان يكتب ويخطب ويباحث ويجادل وخطبهُ من الطبقة الاولى في الفصاحة وحسن البيان حتى تكاد ترتقي الى درجة الشعر البليغ ولم يكتفِ بينات افكارهِ ومولدات قريحتهِ بل ترجم الى لغة اسوج كثيرًا من الاشعار النفيسة فزادت بها غنًى على غناها

وتوفي ابوهُ سنة ١٨٥٩ كما تقدم وآل الملك الى اخيهِ الاكبر وكان لا يزال من غير ولد

فصار ولياً لعهده وتوفي اخوهُ بغتةً سنة ١٨٧٢ فآل الملك اليهِ وشغلتهُ مهامهُ في اول الامر عن النظم والانشاء لكنهُ عاد اليهما سريعاً ولا يزال يعود اليهما كلما سنحت لهُ الفرصة لان القريحة لا تكمُّ ولو بهام الملك

ومن امثلة نثرهِ المرسل قولهُ في رسالة الى صديق نشرتها مجلة القرن التاسع عشر الانكليزية في شهر فبراير سنة ١٨٨٩ ما يأتي

"انفصل الخريف وقد بدت الغزالة فوق الافق كرة من الذهب الوهَّاج. وقبل ان ترسل اشعتها وتبعث في الهواء حرارتها رأيت اشجاراً اصفرَّ ورقها وقارب الانتشار مضى نهارها ودنا ليلها نهار قصير لكنهُ بهيج قضتهُ بالغبطة والحبور في ربوع الشمال

لما اشرقت شمس الربيع واذابت الثلج والصقيع وانفك قيد الجداول وسمع خرير الماء في المسايل وتغنت الطيور في افنانها وبدت البراعم من جفون اغصانها واكتست الادواح حللاً تباهي بالوانها تجلَّت الاهات الصيف بغدائر من النضار يمسنَ بجمالهنَّ عجباً ويتهن دلالاً ويتعانقن عناق العشَّاق ويبسطنَ ظلهنَّ الظليل ليتفيأهُ كل عابر سبيل

والصيف قصير الاقامة في بلاد الشمال فيرتحل ارتحال المسافر وتقف تلك الادواح لوداعهِ مطرقة الراس كاسفة البال تطرح تيجانها بايديها اسفاً وشجناً وكأن لسان حالها يدعو من يمرُّ بها ليقف ويعتبر

أخيٌّ — للانسان ايضاً ربيع وصيف وخريف. الربيع الصبا والصيف الشباب والخريف الشيخوخة لكن صيفهُ قد لا يخلو من آثار الخريف وخريفهُ لا يخلو من تباشير الربيع فان الحزن يصيِّر الصباح مساء والربيع خريفاً. وشجرة الحياة التي عصفت بها العواصف يعسر عليها الانتصاب ولا تعود الى رونقها وروائها الاَّ بعد كرور الايام وقد لا تستردها ما لم يمرَّ بها ساري ويمد اليها يد المعونة حتى النخل الباسق في القفار تضربهُ ريح السموم وتطرحهُ على الثرى مهما رسخ في الارض اصلهُ وعلا الى السماء فرعهُ ولكن الخريف على ظلمتهِ لا يخلو من بهجة الربيع. انظر الى تلك الادواح فان ليل الشتاء يكاد يدركها لكنها راضية مطمئنة ترجو انهُ متى انقضى الشتاء يزمهرير تعود الشمس فتكتنفها بالبهاء وتسمع حولها تغريد الطيور يدعوها الى حياة جديدة وافراح مجيدة وهذا شأنها دواماً سلسلة متصلة حياة وموت وموت وحياة

ونحن. نحن الذين تعلو شكوانا كلما جرت الرياح على غير ما تريد ونعارض الحق في قضائهِ ويحملنا الغرور على ان نودَّ ان يكون العالم طبق مشتهانا ماذا يجب علينا ان نتذكر ونعتبر

ألا نرى في ضمائرنا ما يدلُّ على البعث والنشور على ربيع يأتي بعد خريف الحياة. وموت

الشتاء. أوليس ذلك آكد واسمى من كل ما في الحياة. ألا ترى شيئاً من الحب والوئام في هذه الدار الفانية أوليس ذلك افضل من كل الملاذ مهما غالى بها اخو الدنيا. فعلى مَ تقنط والربيع الذي يتلو شتاء الموت ابدي دائم البقاء وهو امجد من كل ربيع نراهُ في هذه الدنيا شمسهُ الله ونحن فيهِ ملائكة

والصداقة التي تمكنت ربطها في هذه الدنيا ألا تتبعنا الى الاخرى. على مَ لا تزيد عراها وثوقاً واحكاماً

الصداقة ربطت قلوب الناس في كل العصور ربطت قلوب الذين يرمون الى غرض واحد ولو اختلفت سبلهم ومناحيهم. هذه الصداقة لابد وان تتبعنا الى المرفإ الامين ترافقنا الى الربيع الابدي وتكون لنا خير ذكرى لحياة دنيا قضيناها في خريف هذا العمر"

والف وهو ولي العهد سيرة الملك كارلس الثاني عشر فعارض بها السيرة التي الفها لهُ فولتير في بلاغة عبارتها وفاقها في البحث وصدق الرواية

ولما توج ملكاً على اسوج ونروج خطب في قومهِ فقال في جملة ما قالهُ اني اقتداء باسلافي العظام اخترت شعاراً لنفسي واني عالم حق العلم ان التاج الذي آل اليَّ لم يأل لكي اباهي بهِ وافتخر بل لكي اسعى جهدي في مصلحة المملكتين المتآخيتين فان هذا هو الغرض الذي صرت لاجلهِ ملكاً ولذلك ساجعل شعاري Brödrafolkens Väl! فعسى ان يعبر هذا الشعار عن حبي الصادق للامتين اللتين اتحدتا في عهد سلفي العظيم وسعادتهما غايتي العظمى في هذه الحياة الدنيا وعسى ان يدل على ما اقصدهُ لها بعون الله كملك لاسوج ونروج

ولقد بذل قصارى جهدهِ للتوفيق بين مصالح الامتين الامة الاسوجية والامة النروجية ومضى عليهِ الآن ثلاث وثلاثون سنة وهو يجاهد في هذا السبيل لكنهُ عجز عن نيل ما تمناهُ وسعى اليهِ جهدهُ لا لقصور منهُ ولا لقصور في الوسائل التي استخدمها بل لان الامتين متخالفتان في اللغة والمشارب والاميال ويستحيل التوفيق بين مصالحهما في كل شيء فتفاقم الخلاف رويداً رويداً الى ان انفصمت عُرَى الاتفاق حديثاً. وقد قال في هذا الشان ان الاتحاد الذي لا يرضى بهِ الفريقان كلاهما عن طيب نفس لا ينفع الفريق الواحد ولا الاخر

وكتب هو ومشيروهُ الى مجلس الامة النروجي يقول ان اسوج لا ترغب في اجبار نروج على البقاء معها لان هذا الاجبار لا يتم بغير حرب فتزول مزية الاتفاق الذي اساسهُ السلام والنفع العام ولذلك تفضل اسوج الانفصال على ان تضطر نروج على البقاء معها رغماً عن ارادتها

وقد نشر الدكتور نانسن الرحالة النروجي الشهير رسالة ضافية الذيول بحث فيها عن

اسباب الخلاف الذي وقع بين اسوج ونروج وافضى الى التفريق بينهما بعد ان قضتا احدى وتسعين سنة متحدتين اتحاداً وثيق العرى ثابت الاركان . فأيد رأي قومه اهل نروج واستصوب الخطة التي جروا عليها في حل الخلاف ووافق على سعيهم الى انشاء دولة جديدة مستقلة عن الدولة الاسوجية استقلالاً تاماً ما دامت سبل الاتفاق وعرة يتعذر الوصول الى غاية حميدة معها . وقال ان الاتحاد بين الدولتين لا يكون ثابتاً وطيد الاركان ولا يؤول الى المصلحة العمومية الاَّ اذا روعي فيهِ استقلال كلٍّ من الفريقين وضمنت لهُ الحريَّة المطلقة في ادارة مصالحهِ والتصرف في شؤونهِ طبقاً للحقوق المخولة لكل دولة حرة مستقلة . وفي ما خلا ذلك فالاتحاد يجحف بحق فريق لمصلحة فريق آخر فيولد القلق والحذر ويثير الحقد والسخط لان الحر الكريم لا يرضى بالحيف ولا يحتمل الضيم فيبدو النفور ويقع ولا تؤمن العواقب اذا تصدع صرح الاتحاد وتداعى الى السقوط . وعليهِ فاما ان تتحد المملكتان اتحاداً ثابتاً وطيداً على القواعد التي اشرنا اليها واما ان تنفصل الواحدة عن الاخرى على وفاق ووئام وتسير كل منهما في الخطة التي ترى الصلاح فيها

وصدَّر الرسالة بفذلكة تاريخية ذكر فيها مآثر قومهِ سابقاً ولاحقاً فقال ليست نروج من البلدان التي لم تعرف الحضارة الاَّ حديثاً ولا وصلت اشعة العلم اليها الاَّ اخيراً . فان النهضة النروجية قديمة العهد والتاريخ يدلنا على ان بلادنا توحدت وتنظمت الاحكام فيها منذ نيف والف سنة وانها كانت في مقدمة البلاد الاوربية حضارة ومكانة منذ سنة ٨٧٢ بدليل الآثار التي دوّنت لنا في التاريخ حين كانت ظلمات الجهل والغباوة لا تزال مخيمة على قسم كبير من البلاد الاوربية ولاسيما الشمالية منها واثار اسوج في تلك الفترة مقصورة على سلسلة ملوك لم يؤثر عنهم شيء يخلد لهم ذكراً في اخبار الدول وسير الرجال . على انهُ لما انقرض بيت الملك في نروج سنة ١٣٨٧ اتحدت اسوج مع نروج والدنمارك برئاسة ملك واحد . ثم انفصلت اسوج عنا سنة ١٥٢١ وبقي الاتحاد بيننا وبين الدنمارك حتى سنة ١٨١٤ . على ان كلاً من الفريقين كان مستقلاً استقلالاً تاماً مستأثراً بادارة جيشهِ وماليتهِ طبقاً لدستورهِ الخصوصي ولم تظهر نروج في مظهر دولة تابعة للدنمارك مطلقاً

وافاض في هذا المعنى مستشهداً بالحوادث التاريخية ونص المعاهدات والاتفاقات الدولية الى ان قال على ان ملوك اسوج كانوا يطمعون بنروج ويسعون في ضمها الى املاكهم ولكن لم يتأتَّ ذلك الاَّ في فاتحة القرن الماضي . فان ملك اسوج عاهد القيصر اسكندر الاول على الانضمام اليهِ لمقاتلة نابليون وشن الغارة على فرنسا على شرط ان تنفصل نروج عن

الدنمارك وتضم الى اسوج . فاجابهُ القيصر الى ذلك ووضعت معاهدة كيال التي منحت ملك اسوج — لا اسوج نفسها — ولاية نروج ولم يرد فيها شيءٌ يدل على انهم جعلوا نروج قسمًا من اسوج او مقاطعة تابعة لها بل كل موادها تدل على ان نروج تبقى حرة مستقلة وتسير طبقًا لشرائعها وحقوقها وامتيازاتها . ومع ذلك فالنروجيون ابوا ان يوافقوا على ما قضت بهِ تلك المعاهدة لانها أُبرمت بلا مشورتهم فحشد المرشال برنادوت جيشًا قويًّا واغار على نروج فهب النروجيون لردهِ والذود عن الديار فرأى بعد اجتيازهِ الحدود النروجية باربعة عشر يومًا انهُ يتعذر عليهِ الاستيلاء على البلاد بالرغم عن اهاليها فنبذ طرق الاكراه وعوَّل على اللين والمجاملة فتفاوضهم في الاتحاد مع اسوج على شروط معلومة فاجابوهُ الى ذلك وعقدت معاهدة موس في ١٤ اغسطس سنة ١٨١٤ وهي التي اتخذتها الامتان قاعدة لاتحادهما في خلال الاحدى والتسعين سنة الماضية . ومن امعن النظر في تلك المعاهدة يتضح لهُ انها ليست معاهدة بين غالب ومغلوب بل اتفاق بين دولتين متساويتين في الحقوق والامتيازات فان اسوج اعترفت فيها بان نروج دولة مستقلة وانهُ لا بدَّ من رضاها لعقد شروط الاتحاد بين الدولتين والوصول الى الغاية المقصودة منهُ وهي اتحادهما في الحرب والسلم . على ان تلك الغاية اصبحت مضمونة باجتماعهما تحت سلطة ملك واحد ومن يقوم مقامهُ اذا حدثت فترة في الملك ونعني بذلك مجلس الامة الاسوجية . وعليهِ بقي لكل من الفريقين حق التصرف المطلق في شؤونهِ ومصالحهِ الخصوصية التي لا تدخل في الاتحاد المشار اليهِ . على انهُ يظهر ان ذلك الاتحاد لم يأتِ بالفوائد المنتظرة فان جو السياسية لم يصفُ تمامًا بين البلادين منذ ١٨١٤ الى يومنا هذا

والسبب الاول في ذلك اختلاف البلادين على طريقة ادارة الشؤون الخارجية فانها نيطت بناظر الخارجية الاسوجية ولم يكن لذلك الناظر علاقة بمجلس النواب النروجي فكانت النتيجة ان زمام شؤونها الخارجية سلم الى رجل ليس في وسعنا ان نطلب منهُ حسابًا عن اعمالهِ عند الاقتضاء . ومما زاد النروجيين استياء من تلك الحال ان نروج اكثر تمسكًا بالهيئة الدستورية من اسوج فالاسوجيون لا يزالون يتبعون تقاليدهم القديمة المبنية على مراعاة الطبقات بالنظر الى الاصل والفصل بينما النروجيون يسيرون على المبادىء الديمقراطية الحديثة فما يرضي اسوج لا يرضي نروج على ان الساعين الى التوفيق بين البلادين هوَّنوا الامر علينا اذ جعلوا ناظر الخارجية تابعًا للملك رأسًا ولكن الامر لم يلبث على تلك الحال طويلاً فان الدستور الجديد الذي وضع في اسوج سنة ١٨٨٥ حرم الملك ذلك الحق وباتت مصالح الخارجية في يد رجل اجنبي لا رابطة لهُ بهِ فاستاء النروجيون لذلك استياء شديدًا وعدوهُ

اجحافاً باستقلالهم وحقوقهم الدولية لانهُ من المقرر انهُ يجوز لهم عقد معاهدات واتفاقات دولية طبقاً لما تقتضيهِ مصالحهم الاقتصاديَّة بدليل انهم عقدوا معاهدات مختلفة بعضها بالاتفاق مع اسوج حيث اتفقت مصالح الامتين وبعضها بالانفراد عنها حيث تتفق تلك المصالح

اما مسألة القناصل فخلاصتها ان نروج طلبت ان يكون لها قناصل غير قناصل اسوج لرعاية مصالحها التجارية فوافقت اسوج على ذلك مبدئيًّا ولكن نقطة الخلاف كانت في تعيين الرئيس الذي يرجع اولئك القناصل اليهِ ويستمدون سلطتهم منهُ فاصرَّت اسوج على ان يكون مرجعهم الى ناظر الخارجية وابت نروج ذلك قائلة ان ذلك الناظر موظف اسوجي لا علاقة لهُ بالشؤون النروجية فاما ان تعود علاقة ناظر الخارجية بالملك الى ما كانت عليهِ سابقاً واما ان يعين ناظر خارجية ثانٍ لنروج فتعاظم الخلاف واشتدت الازمة الى ان بات الانفصال خير وسيلة لاصلاح الحال وتلافي الشر (انتهت خلاصة الرسالة نقلاً عن المقطم)

والامر واضح ان نروج ودت ان تنفصل عن اسوج يرضى الملك لانها طلبت ان يكون احد اولادهِ ملكاً عليها وهو دليل قاطع على حبها لهُ واعترافها بفضلهِ ولما ابى ذلك نقل البرق في حينهِ ان النروجيين يتحدثون باختيار البرنس كارل الدنماركي ملكاً عليهم وهو ثاني اولاد ولي العهد في بلاد الدنمرك ولد سنة ١٨٧٢ وافترن بالبرنسس مود ابنة ملك الانكليز في ٢٢ يوليو فاذا تم ذلك جلست ابنة ملك الانكليز على سرير نروج وجلست ابنة عمها التي اقترنت بالبرنس جوستاف ادولف على سرير اسوج

وقد امتاز حكم هذا الملك العادل بالسعي المتواصل في مصلحة المملكتين فارتقتا زراعة وصناعة وتجارة وعلماً وادباً ولم يدخر وسعاً في ابحث عما تحتاج اليهِ رعيتهُ فيطوف في الولايات ويحادث الناس ويتطلب الوقوف على الحقائق . وقد يقف فجأةً في اماكن البوليس يسمع محاكمة الذين أُخذوا في المخالفات . ومن رأيهِ ان الملك مضطرٌّ الى تضحية اميالهِ الشخصية لاجل مصلحة شعبهِ اذا اقتضت ذلك . وهو من اهل التقى والصلاح فلا يصعب عليهِ ان يحرم نفسهُ نفعاً لكي تنالهُ رعيتهُ . وقد وجد في زوجتهِ اكبر معين لهُ ولها اربعة اولاد الاول البرنس غستاف ولي العهد ويكرههُ البرنس غستاف ادولف الذي اقترن حديثاً بابنة اخ ملك الانكليز . والثاني البرنس اسكار برنادوت وقد تنازل عن حقهِ في الملك لكي يقترن بفتاة ليست من الاسرة المالكة . والثالث البرنس كارل . والرابع البرنس اوجين

والملك مثال الفضيلة وطهارة السيرة والمحبة العائلية فوق ما هو ممتاز بهِ من الشهرة العلمية والادبية